

هل البقاء لمدة خمس وعشرين سنة في مكان ما يمنحنا الحق التاريخي للملكية هذا المكان؟. والافما هي المقاييس التي يتقرر بموجبها الحق التاريخي على مستوطنة ما؟» .

كانت قوة الردع الاسرائيلية قد رددت العقيلة الاسرائيلية العادية على طرح مثل هذه الاسئلة ، وكان الاحتكام الى الحق الذي تخلقه القوة هو الاجابة الجاهزة لانها « لم تخطيء محاكمتها » . وكان مصطلح « لا خيار » ، الذي استخدمته السلطة الاسرائيلية قبل كل حرب ، شائع المفعول بشكل يعنى العقل من حركته . وأهم من ذلك: كان الذهاب الى الحروب السابقة ذهابا الى الحل المؤقت لمشاكل اسرائيل الداخلية . وعشية حرب تشرين اعلن رئيس اركان الجيش الاسرائيلي أنه اذا اندلعت حرب جديدة، فستكون « حرب الحساب مع العرب » . ولم يخطر ببال الاسرائيليين أنها ستكون حرب حساب الاسرائيلي مع مؤسسته العسكرية والسياسية ، ومع فكرته التي حارب تحت لوائها دون أن يناقشها .

وان مناقشة الفكرة الصهيونية ، كما نرى من اسئلة الطلبة وبعض الجنود ، قد ارتقت الى درجة الشك بشرعية الوجود الاسرائيلي « والحق اليهودي » على أرض فلسطين ، وهي الحلقة الجوهرية في أزمة الثقة وفي الازمة الروحية .

وكان المكاتب بوعز عفرون أجرا من افتتح المحراب الصهيوني في مناقشة الطريقة التي تطرح بها الصهيونية حقها على فلسطين ، وقشر كل الدعاوي الصهيونية الكلاسيكية واحدة واحدة . ولاحظ ان الشك بشرعية اسرائيل جاء في الذكرى السادسة والعشرين لتأسيسها ، ولكنه « رافق المشروع منذ البداية » . ونفى في مقاله المنشور في صحيفة « يديعوت احرونوت » [٧٤/٤/٢٤] أن تكون أسباب الشك بالشرعية الاسرائيلية ناتجة عن نقص في التثقيف . وقال ان مثل هذه الشكوك ما كانت لتثور ، منذ البداية، لو ان فلسطين كانت كما صورها الصهاينة الاوربيون الاوائل بأنها « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

ومع ذلك ، فان الكثيرين من الصهيونيين قد خدعوا أنفسهم بأن هذه الأرض خالية من السكان « ولكن كل خطوة خطوها في البلاد اصطدمت بواقع ان تلك الفرضية كانت وهما » . وكل مبنى الاستيطان العبري قد صمم وفقا لواقع الصدام مع العرب . وهذا ما حدث : ان شعبا محبا للسلام ولا يحب العنف بطبيعته ، قد تحول الى واحد من اكثر الامم عسكرية في العالم ، لان هذه البلاد لم تكن بدون شعب . وحدث أيضا أنه بعد كل صدام عبري عنيف وموجع مع الشعب الذي سكن هذه البلاد قبله ، ومع اخوته الذين يحيطون به ، ثار الشك في قلوب الشباب وغير الشباب بمدى شرعية كياننا هنا » .

يصاد بوعز عفرون جوهر المسألة الذي يتجاهله كثير من المفكرين الاسرائيليين في معالجتهم أزمة الشك بالفكرة الصهيونية لدى شباب اسرائيليين ، وهو دور صراع الحق العربي في بعث هذا الشك ، وصعوبة انضباط التطبيق الصهيوني ومحاولة السلام في معادلة واحدة .

ان غياب العربي من الحلم الصهيوني ، وحضوره المقاتل خلال محاولة تطبيق هذا الحلم هما اللذان تتمحور حولهما المشكلة ، وان هذه المسافة الشاسعة بين الحلم الصهيوني والوجود العربي هي التي اولدت افدح ما يواجه القضية اليهودية من مخاطر، ونقلت اليهودي الذي عوض عن « ضياعه في المكان » ابداعا في الزمان ، من مكانه المسالم الى مكانه العدوانى ، وصرف طاقاته في تشكيل شخصية جديدة في عصر انحسار مثل هذه الشخصية الاسبارطية عن مسرح صراع الجدارات في هذا الزمن . « لقد